

[٢٦٨ - عن الصعب بن جثامة الليثي رضي الله عنه: أنه أهدى إلى النبي ﷺ حماراً وحشياً وهو بالأبواء - أو بودان - فرده عليه، فلما رأى في وجهه قال: (إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم). وفي لفظ لمسلم: رجل حمار. وفي لفظ: شق حمار. وفي لفظ: عجز حمار. وجه هذا الحديث: أنه ظن أنه صيد لأجله، والمحرم لا يأكل ما صيد لأجله] .

هذا الحديث قد يتعارض مع الحديث السابق فإن النبي ﷺ في الحديث السابق قبل وأكل وهو محرم من صيد الحلال، وهنا امتنع - عليه الصلاة والسلام - من أكله وجمع بينهما أن الصعب بن جثامة - رضي الله عنه - قصد النبي ﷺ وصاده من أجل رسول الله ﷺ، ولذلك قال له: [إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم] وفي هذا دليل على أنه ينبغي للمسلم إذا رد من أخيه شيئاً أن يترفق في الرد وأن يطيب خاطره، فقد كان عليه الصلاة والسلام أكمل الناس أدباً وخلقاً لم يكن - عليه الصلاة والسلام - عنيفاً ولا مؤذياً ولا جارحاً للقلوب، بل كان - عليه الصلاة والسلام - رحمة مهداة كما قال - عليه الصلاة والسلام -: (أنا رحمة مهداة) فمن لينه وعطفه وشفقته وكمال خلقه أنه لما أهدى إليه الصعب بن جثامة - رضي الله عنه - هذه الهدية تلتف في ردها، وفيه دليل على أنه ينبغي للمسلم أن لا يجامل في شرع الله، وأن لا يجابي في حكم الله ﷻ، وأنه إذا عرض عليك الحرام تصرح وتقول: "لا أكل هذا إنه حرام" فإنه إذا دُعي الإنسان إلى مال حرام أو من ماله من حرام ودعاه إذا ذلك الشيء وامتنع وسأله عن سبب امتناعه يقول له: "إنك تأكل كذا" أو "أن مالك فيه حرام وأنا لا أكل الحرام" أو "أن هذا مال حرام وأنا لا أكله"، وقد جاء عن أصحاب النبي ﷺ صدقهم وتأسيتهم برسول الله ﷺ في ذلك، ولذلك كان النبي ﷺ في كل سنة يبعث عبدالله بن رواحة - رضي الله عنه - بعد فتح خيبر لكي يخرص النخل، وكانت خيبر بالنصف بين اليهود وبين النبي ﷺ كالعمال يستأجرهم النبي ﷺ للعمل فيها، فلما يأتي عبدالله ويخرص يأتي عند الحصاد يأخذ النبي ﷺ ماله ويترك لليهود ما لهم، فكان اليهود قوم خبث فجمعوا أموالاً كثيرة فجاءوا إلى عبدالله بن

رواحة وقالوا له: هذا لك وخفف عنا - أي رشوة - فقال لهم - رضي الله عنه - : "اجتمعوا لي معشر يهود" فاجتمعوا له، فقام فيهم خطيباً وقال: "يا معشر يهود، والله ما خلق الله قوماً أبغض إلي منكم، وإن بغضي لكم لا يحملني على الحيف والجور وظلمكم" انظروا كيف هدي الصحابة: إنكم أبغض الناس وإن بغضي لكم لا يحملني على أن أظلمكم "وإن ما جئتم به - هذا موضع الشاهد - إن ما جئتم به السحت وأنا لا آكله". إن ما جئتم به السحت - يعني: الرشوة - وأنا لا آكله، فلو أن كل مسلم صدق مع من أخطأ وبين له أنه أخطأ وأنه ترك هذا لأنه مخطئ انتبه المخطئ لخطئه، ولو كان عالماً لخطئه انجرح قلبه فلربما كان سبباً في توبته، ومن الحوادث الغريبة التي ذكرت لبعض أهل العلم: أنه كان هناك رجل مبتلى بمعضية من المعاصي في ماله ويأكل الربا فدعا عالماً جليلاً فقبل العالم دعوته، فجمع الناس وأعيان الناس من أجله، فلما اجتمعوا وجلسوا جلس العالم وقال: "إنك تأكل الربا وإني لا آكل من مالك وإن مالك عليّ حرام"، وأخرج من جيبه مالاً وأمر رجلاً أن يشتري له طعاماً، فكان هذا الموقف العظيم المؤلم الجارح سبباً في توبة هذا الرجل عن الربا وتركه له. فإذا صدق الإنسان في بيان الحق وأنصف وأعذر إلى الله ﷻ وبين لمن أخطأ خطأه كان ذلك أبلغ في دلالة الناس على الخير؛ لأن الله حقاً على عباده، والله ﷻ حلال أحله لا يحرمه أحد وحرام حرمه لا يحله أحد كائناً من كان، فإذا بين المسلم ما لله ﷻ من حقه عليه انتبه الناس وكان ذلك أبلغ في طاعتهم لله وتركهم لما حرم الله ﷻ عليهم.

فقال عليه الصلاة والسلام دون أن يجامل أو يحابي: [إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم] فنحن لا نأكله لأنه محرم علينا لأنه صيد من أجلنا. وقد ترجم أئمة الحديث - رحمهم الله - لهذا الحديث بقولهم: "باب المحرم لا يأكل الصيد إذا صاده أو صيد من أجله" وفي هذا دليل على أنه إذا كان المحرم لا يأكل الصيد إذا صيد من أجله فمن باب أولى إذا صاده هو، ومن هنا قال بعض العلماء: إن المحرم لو صاد صيداً فإنه يعتبر كالميتة ولا يحل أكله من الحلال، [.....] لا تعمل فتصبح الفريسة كالميتة فلا يحل أكلها إلا إذا أدركت ذكاتها الشرعية.

وفي هذا الحديث دليل على سنته وهديه فقد كان هديه - عليه الصلاة والسلام - قبول الهدية، ومما وُصف به في الكتب السماوية في التوراة والإنجيل - عليه الصلاة والسلام - : أنه يأكل الهدية ويرد الصدقة، ولما أراد عبدالله بن سلام - رضي الله عنه وأرضاه - أن يمتحن النبي ﷺ وأن يعلم هل هو النبي المنتظر أو غيره - وكان بقباء - أخذ تمرًا فأتى إلى رسول الله ﷺ وحوله أصحابه فقال له: "هذا التمر صدقة مني لك" فدفعه عليه الصلاة والسلام وقال لأصحابه: (كلوا) ففطن عبدالله لذلك، ثم جاءه بعد أيام ومعه تمر فقال: "يا محمد، هذا هدية مني لك" فقال عليه الصلاة والسلام: (بسم الله (فأكل وأكل أصحابه - رضوان الله عليهم - معه. فكان - عليه الصلاة والسلام - يقبل الهدية ويرد الصدقة ولا يأكلها - صلوات الله وسلامه عليه وبركاته إلى يوم الدين - .